أنت عبدي ورسولي

كل الكتب السابقة بشّرت بالمصطفى ﷺ ، وكذلك الأنبياء والمرسلون عليهم السلام ، مثال ذلك ما رواه عطاء بن يسار قال: لقيتُ عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قلتُ: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة ، قال: أجلْ ، والله إنه لموصوفٌ في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبي ، إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرْزاً[1] للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سمّيتك المتوكل ، ليس بفظٍّ ولا غليظ ، ولا سخّاب[2] في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتىٰ يُقيم به الملّة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله ، ويفتح به أعيناً عُمياً ، وآذاناً صُمّاً ، وقلوباً غُلْفاً[3].

ومثال آخر عمّا ورد من صفاته ﷺ في الإنجيل:

عن سهل مولى عتبة أنه كان نصرانياً من أهل قريش ، وأنه كان يتيماً في حجر أمه وعمه ، وأنه كان يقرأ الإنجيل ، قال: فأخذتُ مصحفاً لعمّي فقرأته حتىٰ مرّت بي ورقة ، فأنكرتُ كتابتها حين مرّت بي ومسستها بيدي ، قال: فنظرتُ فإذا فصُولُ[4] الورقة ملصقٌ بغراء. قال: ففتقتُها ، فوجدتُ فيها نعتَ محمد ﷺ: أنه لا قصيرٌ ولا طويلٌ ، أبيض ، ذو ضفيرتين ، بين كتفيه خاتم ، يُكثر الاحتباء ، ولا يقبل الصدقة ، ويركب الحمار والبعير ، ويحتلب الشاة ،

---

(١) أي: المكان المنيع يلجأ إليه.

(٢) السّخب والصّخب بمعنىٰ الصّياح.

(٣) صحيح البخاري: ٦/ ١٦٩ ، المسند للإمام أحمد: ٢/ ١٧٤.

(٤) أي: أجزاء.

ويلبس قميصاً مرقوعاً ، ومن فعل ذلك فقد برئ من الكبْر ، وهو يفعل ذلك ، وهو من ذرية إسماعيل ، اسمه أحمد ، قال سهل: فلما انتهيتُ إلىٰ هذا من ذكر محمد ﷺ جاء عمّي ، فلما رأى الورقة ضربني ، وقال: مالكَ وَفَتْحَ هذه الورقة وقراءتها؟

فقلتُ: فيها نعتُ النبي ﷺ أحمد ، فقال: إنه لم يأتِ بعد[1].

نعم يا أبا القاسم يا رسول الله:

لقد كنت ـ وما تزال ـ روح الوجود كله ، ولذلك أخذ الله سبحانه المواثيق والعهود علىٰ من سبقك من الأنبياء والمرسلين ، فقال عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

[آل عمران: ٨١ ـ ٨٢].

فاق النبيين في خَلقٍ وفي خُلقٍ ... ولم يدانوه في علمٍ ولا كرمِ

وكلهم من رسول الله ملتمسٌ ... غرْفاً من البحر أو رشفاً من الدِّيَمِ

وواقفون لديه عند حدّهم ... من نقطة العلم أو من شكلة الحكمِ

فهو الذي تمّ معناه وصورته ... ثم اصطفاه حبيباً بارئ النَّسَمِ

منزّهٌ عن شريكٍ في محاسنه ... فجوهر الحُسن فيه غير مُنقسمِ

دع ما ادّعتهُ النصارى في نبيّهمِ ... واحكم بما شئتَ مدحاً فيه واحتكمِ

وانسُبْ إلى ذاته ما شئتَ من شرفٍ ... وانسُب إلىٰ قدره ما شئت من عظَمِ

فإن فضل رسول الله ليس له ... حدٌّ فيُعرب عنه ناطقٌ بفمِ

* * *

(١) طبقات ابن سعد: ١/ ١٠٤.